الباب السابع عشر

فى وصايا الطفيليين

- وصية زعيم الطفيليين لولى عهده .
- وراء الوليمة ولو كانت فى آخر الدنيا .
- وصية بنان .
- وصية بعض الطفيليين لغلامه مع أطيب أمانيه .

الباب السابع عشر

فى وصايا الطفيليين

وصية لولى العهد !

قال محمد بن عمران المرزبانى[1] :

ومما أوصى به طُفيلىّ العرائس الذى يُنْسَبُ إليه الطفيليون[2] ـ يوصى ابنه عبد الحميد بن طُفيل فى علته[3] فيقول :

إذا دخلتَ عُرساً فلا تَتَلَفّت تلفّتَ المريب ! ولْتَتَخيّر المجالس ؛ فإن كان العُرْسُ كثيرَ الزحام فمُرْ وانْهَ ، وامْضِ ، فلا تنظر فى عيون أهل المرأة ، ولا فى عيون أهل الرجل ؛ لِيَظُن هؤلاء أنك من هؤلاء ، ويظن هؤلاء أنك من هؤلاء ؛ فإن كان البواب غليظا فابدأ به ، ومُرْه وانهه من غير أن تعنّفه ، وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال ، ثم أنشد :

لا تَجْزَعَنّ مِنَ الغَرِيـ ... ـبِ ولا من الرَّجُلِ البَعِيد
وادخُلْ كأنك طابِخٌ ... بيدك مِغْرَفَةُ الحديد
مِتَدَلِّياً فوقَ الطّعَا ... مِ تَدَلِّيَ البازِى الصَّيُود
لِتَلُفّ ما فوقَ المَوَا ... ئِدِ كُلِّهَا لَفَّ الفُهُود
واطْرَحَ حَيَاءك إنّما ... وَجْهُ الطُّفَيْلِى مِنْ حَدِيد
لا تَلْتَفِتْ نَحْوَ البُقُو ... لِ ولا إلى غَرْفِ الثَّرِيد
حتَّى إذا جاء الطّعَا ... مُ ضَرَبْتَ فِيهِ كالشّدِيد
وعليك بالفالُوذَجا ... تِ فإنها عين الصَّيد

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عمران المرزبانى ـ صاحب الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء . ومعجم الشعراء .

(٢) وهو كما سبق «طُفَيْل بن زَلّال الكرفى» .

(٣) علته : مرض موته .

هـــذا إذا جـــــردتها ... وَدَعْوتَهـم هـل من مزيـد ؟!
والعُـــرسُ لايحْلُـــو من اللّـو ... زِينَـج الرّطْـــبِ القنيـــــد
فـإذا أُتيـــتَ بهِ مَحَـــوْ ... ت مَحَاسِـــنَ الجَـامِ الجـديد

ثم أُغْمِيَ عليه عند ذكر اللَّوْزِينج ساعة ، فلما أفاق ، رفع رأسه .

وقال :

وتَنَقّـلَـــــنّ على المـــــوا ... ئِـدِ فِعْـــلَ شيطانٍ مَـرِيد
وإذا انتقلـت عبثـت بالْـ ... كعْـك المجفّـفِ والقَـدِيـد
ياربّ أنـــــتَ رَزَقْتَنِـــي ... هَـذَا عَلَى رَغْـمِ الحَسُـود
واعلـم بأنّـك إن قُتِلْـــ ... تَ نعِمْـتَ ياعبد الحميـد

وراء الوليمة حتى ولو فى السِّـــند !

وأنشـد الكرجى لبعضهم[1] :

لاتَسْـمَعَنّ بدعـوةٍ ووليمـةٍ ... فى السِّـنْد إلا كنت ممن يجمـع
حتى تفـوزَ بمالَدَيْهِم عَنْـوةً ... وقلوبهُم حَقًّـا عليك تَصَـدّعُ
وعليـكَ بالفـالوذِ عند حُضُـورِه ... ودَعِ البُقُـولَ فإنها لاتنفـع
والجَدْىَ فاضرِبْ فيه ضربك فى العِدىٰ ... لاتُقْلِعَن عنه إذا قالوا : ارفعوا
وهريسـةِ الخبـازِ فاقصِدْ نَحْوَهَا ... فهى الأمانُ من الخوى يامَرْبَعُ[2]
واتـرُكْ موائـدَهم بأكلك بلقعـاً ... تَشْكُو الخواء ومن دُعُوا لم يشبعوا

وهـذه وصيـة بنـان !

وقال بعضهم : قال رجل لبنان أوصنى ، فقال : لاتنادِمَنّ أحداً ، فإن كنتَ لابُدّ فاعلاً فنادم :

---

(١) الكرجى : هو محمد بن على بن عبد الله الكرجى .
(٢) الخوى : الجوع ، والخواء : الخلاء . وفى المثل : أبشر بطول سلامةٍ يامَرْبَعُ!

● من لا يستأثر عليك[1] بالمخ ..

● ولا ينتهز بيضة البُقَيْلَة[2] ..

● ولا يلتهم كَبِدَ الدجاجة ..

● ولا يختطفُ كُلْيَةَ الجَدْى ..

● ولا يزدردُ قانصة[3] الكُرْكِيّ ..

● ولا يقتَطِعُ سُرّةَ الشَّصَر

● ولا يعرض لعيون الرءُوس[4] ..

● ولا يستولى على صُدُور الدجاج[5] ..

● ولا يتناول إلا ما بين يديه ..

● ولا يلاحظ ما بين يدى غيره ..

● وإن أُتِي بجنب[6] شواء كسح كل شيء عليه ! ، لا يرحم ذا سِنٍّ لضعفه ، ولا يرق على حدثٍ لحدّةِ شهوته ، ولا ينظر للعيال[7]، ولا يبالى كيف دارت بهم الحال !!

---

(١) لا يستأثر عليك بالمخ : لا ينفرد به دونك .

(٢) بيضة البقيلة : قال أبو منصور الثعالبى فى كتابه (**ثمار القلوب ، فى المضاف والمنسوب**) : بيضة البقيلة تذكر فى عيون الأطعمة . ولا يستحسن المبادرة إليها . هجا الحمدونى طفيلياً فقال : ويبدرهم إلى بيضة البقيلة .ا.هـ . وهى على صيغة التصغير . وفى حاشية لعيون الأخبار فى الأصل : البيضة المقلية .

(٣) قانصة الكُركي : القانصة للطير كالمعدة لغيره . والجمع قوانص . والكُركى ضربٌ من الطير ، يقربُ من الإوَزّ ، أبتر الذّنَب ، رمادى اللون ، والجمع كراكى . الشصر من الظباء : الذى قد قوى وتحرك ، والجمع أشصار .

(٤) ولا يعرض ... الخ ، أى ولا يتعرض لعيون الرءوس التى على المائدة أى بأن ينتزعها منها .

(٥) وفى (عيون الأخبار) الدارج ، بدل الدجاج ، جمع دراجة بوزن رمانة . طائر جميل المنظر .

(٦) (جنب شواء) ، يريد جنباً من الشاة مشوياً ، وفى اللسان .. والتنور مملوء جنوب شواء . هى جمع جنب يريد جنب الشاة . ا. هـ .

(٧) (ولا ينظر للعيال) : لا يرق لهم ، ولا يعطف عليهم ، بل يستأثر بالطيبات دونهم، ولا يبالى حرمانهم .

وهذى وصية بعض الطفيليين لغلامه مصحوبة بأطيب الأمانى !

وعن محمد بن عبيد الله الشيرازى أن بعض الطفيليين مرض ، فقال له غلامه : أوصِنى !

قال : مَنّ الله عليك بصحة الجسم ، وكثرة الأكل ، ودوام الشهوة ، ونَقَاء المعِدَة !

ومتّعك بضِرس طَحُون ، ومَعِدَةٍ هضوم ، مع السَّعَةِ والدّعَة ، والأمن والعافية !

إذا قعدتَ على مائدة ، وعَزب عنك الماء ، فغصَصْتَ بلقمةٍ ؟ فضع يدك اليمنى فوق رأسك ، وحركها كأنك تُسَوّى كمك ؛ فإنها تنزل بإذن الله تعالى !

وإذا قعَدْت على مائدةٍ ، وكان موضِعُك ضَيّقاً فقل للذى إلى جانبك :

يا فلان ! لعَلّى قد ضَيّقْتُ عليك ! ؛ فإنه يتأخر إلى خلْفٍ ، ويقول : سبحان الله ! ، لا والله موضِعى واسع ! فيَتّسِعُ عليك موضع رجل .

ولا تُصَادِفَنّ من الطعام شيئاً فترفع يديك عنه ، وتقول : لعلى أصادفُ ماهو أطيبُ منه !

فقال : زدنى !

قال : إذا وجدتَ خبزاً فيه قِلّة ، فكل الحروف ، وإن كان كثيرا فكل الأوساط .

ولا تُكْثِر شربَ الماء ، وأنت تأكل ؛ فإنه يمنعك من الأكل وهذا عين الحماقة !

قال : زِدْنى !!

قال : إذا وجدتَ الطعامَ فكلْ منه أكل من لم يرَهُ قطّ ، وتزود منه زاد من لا يراه أبداً .

قال : زدنى .

قال : إذا وجدت الطعام مطبوخاً فاجعله زادك إلى الله تعالى ولا تأكل «الكرمازك» مطويا فإنه يعذبك !

كُلْه مُشَوّشاً حتى تقَعَ عليه الأضراسُ[1]، وهو أخف فى المضغ . وإذا دخلت إلى عُرسٍ كثير الزحام فمُرْوانْهَ . وإن كان البوّاب غليظاً وقَاحاً فمُره وانهَهْ من غير أن تعنُفَ عليه ، ويكون كلاماً بين النصيحة والإدلال ؛ فإنى دخلت يوماً إلى بعض الولائم ، وعنده بغيض ـ يعنى الخباز ـ وكنت عليه واجداً من شىء فعله ، فجئت وقد عمل « بزماورداً » ليضعه وسط المائدة عند الفراغ من الطعام لَيطلب الراش ، فقلت له : استأذنتَ فى هذا صاحَبنَا ؟! ـ وما كان عرفنى بعد ، ولا يدرى من أنا ـ فقال : يا شيخ !

وهذا مما يستأذن فيه أحد ؟!

قلت : إنك لجاهل أحمق ! صاحب الوليمة لا يرضى بهذا !! ، وهذا مما لا يجوز أن أكتمه ، ولولا خوفى لائمته ، لم آسف بشىء يصير إليك !

فقال الخباز : فهل لك أن تكفينى مؤنته ولك نصف ما أصبت ؟!

قلت : أفعل ، ولزمتهُ ، وجعلت آكل كلّ شىء أشتهى منه ، ومن غيره ، وصرت أيضاً أشتُم وآمر وأنهى .

وكان الخباز يظُن أن بينى وبين الرجل حُرمة ، أو قرابة للمرأة ، وقاسمت الخباز ، وأخذت منه نصف ما أصاب ، ثم عرفنى بعد ذلك وصالحنى !

---

(١) جاء فى كتاب الألفاظ الفارسية المقرّبة : الكَزْماذَج : ثمرة الطرفاء . وقال فى البرهان القاطع : إن عربيته « حَبّ الأثل » أما الكرمازك فلعله نوع من الخبز وينصح بعدم طيه ، حتى تتمكن منه الأضراس ويسهل مضغه !